

اجتهادات بئس هذا التقدم !

لم تنل الأفكار النقدية لمفهوم التقدم وواقعه المُسمى
حادثيًا اهتمامًا تستحقه. نظر كُثُر إليها بوصفها تعبيرًا
عن تشاؤم تاريخي، أو عن مواقف مضادة للغرب نتيجة
اختزال كل إسهامات البشر عبر التاريخ في الفترة
الممتدة منذ القرن السادس عشر

لم يلتفت من انبهروا بالتقدم في الغرب إلى التشوه
الأخلاقي والخواء الروحي اللذين جلبا من الكوارث
والفظاعات ما يفوق كل ما نعرفه عن مثلها في عصور
سابقة، وانساقوا في الوقت نفسه وراء سرديّة مفادها أن
التقدم غربي في أصله وأساسه، وأن كل ما كان في
العصور الوسطى والقديمة ليس إلا تخلفًا وبدائية.
تجاهلوا إشراقات كثيرة بُنى عليها التقدم الذي احتكره
الغرب وجردّه من الأخلاق والقيم، وأهمّلوا كتابات
رصينة عن تلك العصور، ورؤى عميقة عن المرحلة

الأولى فى حياة البشر على الأرض 0 وهى تُفيد فى مجملها أن أكبر الجرائم التى ارتُكبت خلال العصور القديمة والوسطى إنما هى أقل من أصغر فظائع عصر التقدم الحداثى الغربى. وينطبق ذلك على جرائم القتل فى الحروب، كما على غيرها.

وتزداد هذه الفظائع بمقدار ما يطغى التقدم المادى على الأخلاق فى عالمٍ تضمر روحه كل يوم. خذ مثلاً تقنيات الذكاء الاصطناعى التى تعتمد عليها قوات الاحتلال الصهيونى فى اختيار ضحاياها وقتلهم كل يوم، مثل تقنية «لافندر» التى تُستخدم لتحديد احتمال ارتباط شخص أو آخر بإحدى فصائل المقاومة، عن طريق تسجيل بيانات سكان قطاع غزة جميعهم وإجراء عملية تنميط آلى لمن يُطلق عليهم إرهابيون. وقد أصبحت هذه التقنية وسيلةً أساسية لتوجيه القذائف التى تُطلق من مُسيرات أو آليات، وتقتل وتصيب من يوجدون فى المكان المستهدف.

ويعنى هذا أن أحدث منجزات التقدم يُستخدم فى تحديد من يتعين قتله، ثم استهدافه مع كل من يوجدون معه،

دون أى تدقيق أو تأكد على نحوٍ يجعل القتل عشوائيًا.
ويُقال عادةً إن مثل هذا الإجرام استثناءً يعودُ إلى سوء
استخدامٍ منجزات التقدم. ولكن عندما يزداد ويتوسع بلا
ضابط أخلاقي لا يمكن أن نعتبره استثناءً 0 فبئس هذا
التقدم الذى لا تبقى معه قيمة لحياة البشر.